بنتُ السبعةَ عشرَ ربيعاً

بقلم الأخت أدما حبيبي

قابلتها لأول مرة في كاليفورنيا، وتعرّفت عليها منذ سنوات خلت حين كانت تزور ابنها من عمان الأردن. وأُخذت بحديثها الشيق وبابتسامتها الرقيقة التي تعلو وجهها بشكل دائم. ليس هذا فحسب بل راقني صفاء وجهها الذي وإن دل على شيء فإنما يدل على سلام القلب واطمئنانه وراحته. وتكرر لقاؤنا من جديد، في هذه المرة صار لها حفيدة جديدة اسمها سارة راحت تملأ البيت بصوتها وضحكتها وبكاءها. التفتت إلي وقالت لي: يا أخت أدما لقد قرأت مقالة لك أعجبتني جداً وهي اختبار المغني اللبناني اللامع أيمن كفروني، وأريد أن أطلب منك هذا الطلب وهو أن تدوّني لي أنا أيضاً شهادتي في المجلة عساها تكون سبب بركة لكثيرين. قلت: تكرم عينك يا سيدتي، وأنا أحب أن أسمع اختبارك الذي طالما قرأت عنه بشكل ملخّص جداً في كتاب حياة الراحل والطيب الذكرالقس روي وتمن .

وهنا اعتدلت أم كمال في جلستها وشرعت تحكي ما حصل لها حين كانت بعد في السابعة عشرة من عمرها وفي بلد نشأتها الأردن.

ولدت في معان وترعرعت في وسط عائلة مسيحية محافظة، كما هو شأن أغلب العائلات آنذاك. كان والدي يعمل شرطياً هناك. وفي سنة ١٩٤١ انتقلنا من معان إلى عمان العاصمة. وفي عمان جاورتنا عائلةُ امرأةٍ أرمنية وهي أم لأربع من البنات. فتعرّفت على بناتها وصرت أزورهم وبدأت أشعر بأن هذه العائلة مختلفة عن عائلتي. وتعجّبت مثلاً أنهم كانوا يصلّون قبل الطعام.

وكانت الأم تقرأ الكتاب المقدس لبناتها في كل يوم وتصلي معهن. فأحببت أنا هذه الأجواء وجُذبت لهذه العائلة التقية. فأعطتني الأم الكتاب المقدس، فرحت أقرأ فيه في غرفتي وأطالعه بشغف وشوق كبيرين. وكشف لي الرب أشياء كثيرة لم أكن أعرفها من قبل. ولأول مرة فهمت من كلمة الرب أنني إنسانة خاطئة وُلدت في الخطية وأنّني بحاجة ماسة إلى خلاص نفسي.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وفي يوم من الأيام حضرتُ اجتماعاً للسيدات في أحد البيوت كانت تعقدُه زوجة القس روي وتمن الأخت دورا. وهناك سمعت منها أنَّه يمكن للإنسان أن يطلب من الرب أن يدخل إلى قلبه فيحصل بالتالي على الغفران الكامل لخطاياه وينال الخلاص الأكيد من عقاب الخطية والدينونة المخيفة. فطلبت الرب وصلّيت من كل قلبي لكنّني لم أدرك بالضبط معنى هذه الخطوة التي اتَّخذتها في حياتي على الرغم من أن حياتي كلّها تغيّرت. وكان ذلك في العام ١٩٤٣.

وبعد مرور شهور على صلاتي تلك قالت لي جارتنا الأرمنية لماذا لا تحضرين يا فايزة الاجتماع الذي يُعقد في كنيسة القس روي وتمن. عندها بدأت ومنذ ذلك الحين أواظب على حضور الاجتماع وأستمع جيداً إلى كلمة الوعظ. وهناك أيضا كان القس والإخوة كلهم يجتمعون بعد الظهر من كل يوم أحد لكي يكسروا خبزاً. وسمعت القس روي يقول : "إذا لم تكن بعد قد آمنت بيسوع المسيح كمخلص شخصي لك، فلا يجوز لك أن تشترك معنا في تناول الخبز وشرب الخمر، فهذه المائدة معدَّة فقط لكل من آمن واعتمد." حزَّ في نفسي أنا الصبية الصغيرة هذا الكلام جداً. ورحت أقول في نفسي لقد طلبتُ الرب وحصلتُ على الخلاص وتغيّرت حياتي، لكنني لم أعتمد بعد وعليه فأنا لا أقدر أن أشترك معهم في كسر الخبز هذا. ومن يومها صرت أصلي كيما يفتح لي الرب باباً لكي أعتمد بالماء. ولمّا شاركت والدي بالموضوع في أحد الأيام قال لي وبنبرةٍ قوية: ماذا ؟ معمودية؟ ولمَ؟ لقد عمّدناك أنا ووالدتك يوم كنت طفلة. هذا مستحيل ومن غير الممكن أن أوافق على معموديتك للمرة الثانية. فهذا ضدُّ تعليمنا وضد تقاليدنا. سمعتِ؟

ولم يكن لدي أيُّ حل سوى الصلاة. فكنت أركع وأصلي في كل ليلة بجانب فراشي وأطلب من الرب أن يغيّر قلب والدي ويليّن مشاعره من نحوي في هذا الشأن. لكن لم تبدُ أمامي ولا حتى غيمة بقدر كف. هكذا أمر أبي وعليَّ أنا أن أطيعه دون أيِّ جدال. إلى أن أتى يوم حدث فيه شيء غريب عجيب. فقد دُق باب بيتنا في منتصف الليل ، وطُلب من والدي أن يحضر في الحال إلى السجن الذي كان يشرف على حراسته. فلقد اكتشف الحراس أنَّ أربعةً من المساجين الخطرين والمحكوم عليهم بالإعدام حاولوا الهروب من السجن. واستخدموا في ذلك منشاراً كبيراً لنشر قضبان السجن الحديدية. ولّما وصل والدي إلى السجن أخبروه بأنه هو المسؤول عمّا حصل في السجن واتّهموه ظلماً بأنه هو الذي منح المساجين منشار الحديد حتى استطاعوا أن يخططوا للهروب. أما والدي فعبثاً حاول أن يفهمهم أن لا دخل له البتة في الموضوع وأنه بريء من كل هذه الاتهامات التي وجهوها ضده. لكن ليس من يسمع وليس من يعي. وهكذا رُفعت دعوى ضد والدي، فرفع صوته أمام الجميع وقال : أما أنا فالكتاب المقدس يحامي عني. وبعد التداول والمحاكمة ، ثبتت براءة والدي من كل الاتهامات. فعزا والدي ذلك إلى تدخُّل إلهي عجيب. وحُكم بالتالي على المساجين بأربعين جلدة. وكُلّف والدي بأن يقوم بجلد أحد المساجين المتمردين. لكنَّه لم يستطع أن يفعل ذلك لأن قلبه كان حنوناً وشفوقاً ولا يقدر أن يجلد أحداً. فتهرّب من الأمر وذهب إلى غرفته وهناك سمع صوتاً واضحاً يقول له: اذهب يا

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربيه ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

خليل إلى مكان الخلاص. لكنه لم يعرف أين. وفي مساء ذلك اليوم قادته قدماه إلى مكان الكنيسة في حي الطلياني من دون أن يعرف المكان من قبل. و كان هذا المكان هو نفسه الذي يخدم فيه القس روي وتمن. فذهب إلى الاجتماع وهناك سمع الترانيم الجميلة وفتح الرب قلبه لكلمة الوعظ، فصلى للحال وآمن .

وهنا حصلت المعجزة في حياتي أنا. أجل، إذ لم يعد والدي معارضاً للمعمودية لأنه هو الآخر أراد أن يطيع الرب في المعمودية. وهكذا قام القس روي وتمن في العام ١٩٤٨ بإجراء مراسيم المعمودية لي ولوالدي. وانقلبت حياة والدي رأساً على عقب. **أجل لقد زعزع الرب السجن إذ حرّك المساجين لكي يتمردوا. وقد سمح بكل ذلك كله لكي يصلَ إلى قلب والدي فيجعله يشهد أولاً أن الكتاب المقدس سيحامي عنه ومن ثمّ يغيّره. حقا ما أمجد اسم الرب.**

وأخذ والدي الشرطي فيما بعد يسهّل خدمة القس روي وتمن في السجون قدر استطاعته. وكان إيماني بمثابة بداية لدخول الإيمان الصحيح لكل أفراد عائلتي بما فيهم أخي الأصغر فواز. وأذكر أن أختي أتت مرة لتزورنا من الحصن حيث كانت تقطن مع عائلتها، ولمّا جلسنا إلى طاولة الطعام لنأكل، بدأت أصلي وأشكر الرب على حسناته ونعمه الوفيرة. مما دفع أختي للاستغراب. إذ لم تعتد أن ترانا هكذا من قبل. ولما تساءلت أجابها أخي فواز وقال: ألم تعلمي أن فايزة قد آمنت وخلصت؟ وليس هذا فحسب بل إن فواز أخي قبِلَ الرب أيضاً وتتلمذ على يد القس روي وتمن وكان لروي تأثير بالغ في حياته منذ ريعان صباه. وغدا فيما بعد أحد أبرز رعاة الكنائس في الأردن، وهو حاليا راعي الكنيسة المعمدانية في عمان. **بالحقيقة يا لعمق غنى الله وحكمته، ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء.** نعم، بنت السبعة عشر ربيعاً أضحت بعد زواجها للأخ اسكندر خليل أم كمال. إذ أنعم الرب عليها وعلى زوجها بثلاثة من الصبيان وواحدة من البنات. وحالياً صارت أم كمال جدةً لسبعة من الأولاد والبنات. وهكذا انتقل خبر الإيمان إلى الأجيال الثلاثة. وتختم أم كمال لتقول: **ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب.**

أم كمال من الأردن

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service